ثانيا: العـــصاب

(شارع مدينة قديمة من مدن الأقاليم)

بـــــدور : مــازلت عند قـولى ، لا ، لا أوهـام ! علينا أن نعلم الناس الحقيقة دائما ، لا شئ غير الحقيقة ، الحقيقة الخالصة، وليكن ما يكون.

خـــــوان : وإذا قتلتهم الحقيقة ، وأحيتهم الأوهام ؟

بـــــدرو : فليكن ، نعم الميت هو من أماتته الحقيقة ، صدقنى.

خـــــوان : للناس أن تعيش!

بـــــدرو : لكى يعرفوا الحقيقة ، ويعملوا فى خدمتها . الحقيقة حياة.

خـــــوان : الأحرى أن الحياة حقيقة.

بـــــدرو : حذار يا صديقى ، أنت تتلاعب بالكلمات.

خـــــوان : وأنت بالمشاعر.

بـــــدرو : هل لك أن تخبرنى ، لماذا وُهِبنا العقل؟

خـــــوان : ربما لنصارعه ، فنستحق الحياة.

بـــــدرو : هراء ، بل لنصارع به الحياة فنستحق الحقيقة.

خـــــوان : صه! ربما يحدث لنا مع الحقيقة ، كما يقول الكتاب المقدس ، مثلما يحدث لنا مع الله ، فمن يراه يموت !

بـــــدرو : ياله من موت جميل ! الموت برؤية الحقيقة ! وهل للمرء أن يطمع فى شئ آخر!؟

خـــــوان : الإيمان ، الإيمان هو ما يهبنا الحياة ، بالإيمان نعيش ، يعطنا للحياة معنى ، يعطنا الله.

بـــــدرو : بالعـقل نعـيش ، فـالعـقل يكشف لنا لغـز العـالم ، العـقل يدفعنا للعمل.

خـــــوان : (يحدق فى ماريا) ماذا دها هذه المرأة ؟

(تقـتـرب مـاريا فـزعـة تتـيـه بهـا سـاقـاهـا ، مـادة يديهـا تتحسس الهواء)

بـــــدرو : عصا ، من فضلكم عصا ، لقد نسيت عصاى بالدار.

خـــــوان : عصا ؟ ها هى ! (يقدم لها العصا فتمسكها ماريا)

مـــــاريا : أين أنا ؟ (تتلفت) أين الطريق ؟ لقد تهت . ما هذا؟ ما الطريق ؟ خذ ، خذ ، صبرا (تعيد له العصا)

(تخرج منديلا وتعصب عينيها)

بـــــدرو : بالله عليك ، ماذا تفعلين ، يا أمة الله ؟

خـــــوان : أعصبهما لأرى الطريق جيدا .

بـــــدرو : أتعصبين عينيك لترين الطريق جيدا !؟ ، لا أفهم.

مـــــاريا : أنت لا تفهم ... لكننى أفهم .

بـــــدرو : (هامسا لخوان) تبدو مجنونة.

مـــــاريا : مـجنونة ؟ لا ، لا ! يا للمـصـيبـة ، يا إلهى ، يا للمـصـيبـة ، مسكين أبتاه ، مسكين أبتاه ! عفوا ... وداعا .

بـــــدرو : ألم أقل لك ... مجنونة !

خـــــوان : (يوقفها) ماذا دهاك يا سيدتى ؟

مـــــاريا : (مـعـصـوبة العـينـين) اعطنى العـصـا ، واسـمـحـا لى بالانصراف.

خـــــوان : سنسمح لك ، لكن ... افصحى.

مـــــاريا : (تمسك العصا) دعك من الإفصاح الآن فأبى يحتضر ، أبى يحتضر وأود رؤيته قبل أن يموت ، مسكين أبى ، مسكين أبى . (تتلمس بالعصا جدران المنازل منطلقة فى السير.

بـــــدور : (يهم بالسير ورائها) لابد من إيقافها ، سوف تقتل نفسها ، إلى أين تذهب هكذا ؟

خـــــوان : (يوقفه) انتظر ... انظر ... إنها تسير آمنة واثقة الخطوة ، ياله من جنون غريب !

بـــــدرو : بالفعل مجنونة .

خـــــوان : حتى لو كانت مجنونة ، أتعتقد أنك ستعالجها بإيقافها ؟ دعها !

بـــــدرو : (موجها الحديث إلى السيدة " اوخينيا " التى تصادف مرورها حينذاك) مجنونة ، أليست كذلك ؟

أوخـينـيـا : مجنونة !؟ ... لا ... بل كفيفة.

بـــــدرو : كفيفة!؟

أوخـينـيـا : نعم ، كفيفة . إنها تجول بعصاها أنحاء المدينة ولا تضل الطريق أبدا . تعرف أزقتها ودروبها . تزوجت منذ ما يربو على العام ، تعود الآن يوميا أبيها الذى يعيش فى أحد أحياء الضواحى ، لكن ، ألستما من أهل المدينة ؟

خـــــوان : لا ، لا يا سيدتى ، نحن غرباء

اوخـينيـا : واضح .

خـــــوان : خبرينى ... إذا كانت كفيفة ... لماذا تعصب عينيها؟

أوخـينيـا : (تهز كتفيها) أصدقك القول ، لا أعرف . هذه أول مرة أراها تفعل ذلك ، ربما يؤذى الضوء عينيها .

خـــــوان : لا ، إذا كانت لا ترى فكيف يؤذيها الضوء ؟

بـــــدرو : قد يؤذى الضوء غير المبصرين .

خـــــوان : إنه أكثر إيذاء للمبصرين.

(تخرج الخادمة وتتوجه بالحديث إلى أوخينيا)

الخـادمـة : أرأيت سيدتى ؟

أوخـينيـا : نعم ، لقد راحت فى هذا الاتجاه ، ربما بلغت الآن شارع " كروثيرو" .

الخـادمـة : يالها من ورطة ! ، يا إلهى ... يالها من ورطة ! .

بـــــدرو : (موجها الكلام للخادمة) بالله عليك يا فتاتى ، أسيدتك ضريرة ؟

الخـادمـة : لا يا سيدى ... كانت.

بـــــدرو : ماذا تقصدين ب " كانت " ؟

الخـادمـة : أقصد أنها تبصر الآن .

اوخـينيـا : تبصر !؟ ، كيف هذا ؟ ماذا تعنين بأنها تبصر الآن ... كيف ؟

الخـادمـة : نعم ، تبصر.

خـــــوان : كيف ؟ قولى .

الخـادمـة : كانت سيدتى ضريرة ، ولدت ضريرة ، تزوجت سيدى منذ ما يربو على العام ، ومنذ شهر تقريبا عادها الطبيب ، قال أنه يمكن إعادة البصـر لهـا ، أجـرت عـمليـة جـراحيـة استعادت إثرها الرؤية ... وترى الآن.

اوخـينيـا : لم أعلم بذلك.

الخـادمـة : إنهـا مـازالت تتـعلم كـيف ترى ، تتـعـرف على الأشـيـاء ، تتحسسها مغلقة العينين ، ثم تفتحهما ، وتعود لتتحسسها من جديد ، ثم تنظرها . لقـد أمـر الطبـيب ألا تخرج إلى الشـارع قـبل أن تتـعـرف جيـدا على المنزل ، ألا تخـرج وحدها . منذ برهة أتاها من أبلغها أن والدها مريض وفى حـالة خطرة ، يحـتـضـر ، أصـرت على الخـروج لرؤيتـه. سـألتنى مـرافـقـتـهـا ، لكننى رفـضت مـحاولة منعـهـا من الخروج فهربت ، يالها من ورطة ! .

خــــــوان : (موجها الحديث إلى بدرو) الآن أدرك سر العصاب ، لقد ألفت نفسها فى عالم لا يدركه البصر ، ولتصل إلى أبيها لا تعـرف طريقـا آخـر غيـر طريق الظلمات . لـم يجـانبـهـا الصواب عندما قالت إنها تعصب عينيها كى ترى الطريق جـيـدا... لنعـد الآن إلى مـوضـوعنا : الوهـم، والحـقـيـقـة الخالصة ، إلى موضوع العقل والإيمان .

(ينصرفان)

بـــــــدرو : (منصرفا) رغم كل شئ يا عزيزى ، رغم كل شئ ...
(يخفت صوتهما) .

اوخـينيـا : ياله من موضوع غريب هذا الذى يتحدث عنه السيدان !
لكن قولى لى ... وماذا بعد ؟

الخـادمـة : لا أدرى ، لقد أمرنى سيدى لدى خروجه لعيادة الجد الذى أعتقد أنه لن يسلم هذه المرة ، ألا أبلغها بمرضه ، ولا أعرف كيف علمت .

أوخـينيـا : تقولين أنها ترى الآن؟

الخـادمـة : نعم ترى .

أوخـينيـا : من كان يتوقع ذلك !؟ ... لقد عرفتها منذ نعومة أظفارها كفيفة ... مسكينة ، سبحان الله ، آه منا نحن البشر ... ليس لأحد أن يجزم بشىء . لكن بالله عليك خبرينى ، ماذا طلبت بمجرد استعادة بصرها؟

الخـادمـة : طلبت مرآة بمجرد انتهاء مفعول المخدر.

أوخـينيـا : بديهى.

الخـادمـة : راحت تنظر فى المرأة بلهاء ، وعندما سمعت صوت وليدها التفتت إليه تنظره وتتحسسه.

اوخـينيـا : علمت أنها رزقت طفلا.

الخـادمـة : جميل الطلعة ، لقد استعادت بصرها بعد نقاهتها من الوضع مباشرة ، ويالا دهشتها عندما رأت الطفل يبكى لأول مرة ، راحت تنظر له طويلا ... طويلا ... ثم انفجرت

باكية ، متسائلة ... أهذا ابنى ؟ أهذا .. هو ؟ ، راحت ترضعه وتتلمسه ، تغلق عينيها وتتحسسه ، ثم تفتحهما وتنظره وتقبله ... تحدق فى عينيه لترى ما إذا كان يراها ... تسأله ، أترانى؟ ، أترانى يا حياتى؟

اوخينيا : يالها من مسكينة ! ، تستحق أن يرد لها بصرها ، نعم تستحق ذلك ، فهناك كثير من السفيهات اللاتى لن تخسر الإنسانية شيئا إذا لم يرن أحد ... أما سيدتك فطيبة ، جميلة ، سبحان الله !

الخادمة : ليس هناك أطيب منها .

أوخينيا : حفظها الله ... ألم تره حتى الآن؟

الخادمة : تقصدين الجد ؟ ... لم تره ... أما الطفل فقد راحوا به ليرى جده ، وعندما عاد أخذت تقبله وتسأله ... أرأيته ، أنا لم أره ... لم أر أبى أبدا !!

أوخينيا : يا لا غرابة ما يحدث فى العالم ... لكن ليس بيدنا شئ يا بنيتى ... إلا أن نتركه.

الخادمة : حقا ، ولكن كيف أتصرف الآن؟

أوخينيا : لا حول ولا قوة لنا .

الخادمة : حقا .

أوخينيا : ياله من عالم يا بنيتى ... ياله من عالم .

المشهد الثانى

(داخل منزل أسرة من الطبقة المتوسط)

الأب : لقد انتهيت ، أشعر أن الحياة تفر من يدى ... لقد عشت بما فيه الكفاية ، لن أثقل عليكم كثيرا بعد اليوم.

مارتا : من قال أنك تثقل علينا ؟ دعك من هذا ، فقد يعتقد البعض ...

الأب : إن حالتى الآن أفضل ... بيد أن النوبات تعاودنى دون سابق إنذار ، وفى إحداها ...

مارتا : بعد الضيق فرج يا أبى.

الأب : هذا ما يقولون ... لكنه قول لا يتجاوز اللسان يا بنيتى، يعيش الإنسان يبتدع الأقوال . المهم أننى أموت مطمئنا لأننى أراكما حولى مستقرتين ، لقد استعادت ماريتى التى كانت ضرارتها شوكة فى قلبى بصرها قبل أن أموت ، ولى الآن أن أموت فى سلام .

مارتا : (مقدمة طبقا من الحساء) ها يا أبى ، لك هذا الحساء فأنت تبدو اليوم واهنا .

الأب : وهنى يا بنيتى لا يشفيه حساء ، ضعفى لا علاج له ، ومع ذلك هاته ، لن أضايقك (يتناول الحساء) ... لا فائدة.

مارتا : لا فائدة ؟ ليس ما يدور بخلدك إلا أوهاما ... أوهاما يا أبى ، لا تعانى إلا من بعض الضعف ، قال الطبيب أن

تحسنا ملحوظا طرأ عليك .

الأب : نعم ، قـولك المأثور ... قـال الطبـيب . إنك والطبـيب لا تحاولان إلا خداعى . أدرك أنكم تفعلان ذلك بحسن قصد ، شفقة بى ، يا بنيتى ، إن محاولات الغش والخداع تنهار أمام سنواتى الثمانين.

مــــارتـا : ثمانون...! هناك من يبلغ المائة.

الأب : وهناك من يموت فى العشرين.

مــــارتـا : من منا يتحدث عن الموت يا أبتاه؟

الأب : أنا يا بنيتى ، أنا من يتحدث عن موتى.

مــــارتـا : فلنتحلى بالعقل.

الأب : نعم ، أدرك ما ترمين إليه ... ماذا عن زوجك ؟

مــــارتـا : يعمل اليوم فى الحقل ، خرج مبكرا.

الأب : أيعود اليوم؟

مــــارتـا : اليـوم؟ ، لا أعـتـقـد ، فلديه الكثـير من المهـام ، سيظل مشغولا لعدة أيام .

الأب : وإذا لم أره ؟

مــــارتـا : ليس بيدنا ما نفعل ... إنه يعمل من أجل لقمة عيشنا.

الأب : ألن يمكنك قول : عيش أبنائنا ؟

مــــارتـا : أتلومنى يا أبتى؟

الأب : ألومك ؟ لا ... لا...

مــــارتـا : بلى ، حديثك يلقى على دائما تبعة أننا حرمنا من الأطفال

... ربما يجب أن يسعدك هذا.

الأب : يسعدنى ؟ لماذا ؟ ... لماذا يا مارتا ؟

مـــــارتـا : لأننى أتفرغ بذلك للعناية بك.

الأب : أنا أبوك ، الآن ابن لك ... إننى أعيش طفولتى الثانية ... أصير يوما وراء آخر أكثر طفولة من ذى قبل ، سأعود إلى الرحم قريبا .

مـــــارتـا : (تقبله) هون عليك يا أبتى ... دعك مما تفكر.

الأب : هذا التفكير جعلنى غريبا بين الناس ... أما أنت فعاقلة متعقلة يا بنيتى. صدقينى ، لا يضايقنى تأنيبك لى.

مـــــارتـا : تأنيب ... أنا ؟ أؤنبك أنا ، يا أبتى ؟

الأب : نعم يا بنيتى ، نعم ... تعاملييننى ، رغم احترامك لى ، كما لو كنت طفلا تتلاعب به نزواته ، هذا طبيعى ، لقد سلكت نفس المسلك مع أبى . أعزكما الله ، ورزقكما الأبناء إذا كان فى ذلك خيركما. أشعر بالأسى أن أموت ولا أرى حفيدا لى منك .

مـــــارتـا : ها حفيدك ، ابن أختى ماريا .

الأب : بنى ... ياله من طفل بهى الطلعة ، زهرة يانعة ، له عينا أمه ، عيناى ، إنه يرى ... حقا؟ يبصر ... أليس كذلك ؟

مـــــارتـا : نعم يبصر ... يبدو أنه يبصر...

الأب : يبدو ...؟

مـــــارتـا : مازال صغيرا.

الأب : إنهـا تبـصـر الآن ، ترى ، مـاريتى ترى ، حـمـدا لله ... الحـمـد لك ، مـاريتى ترى ، كنت قـد فـقـدت الأمل ، كل الآمال ... ليس للإنسان أن ييأس أبدا ... أبدا.

مــــارتـا : تتحسن حالتها يوما وراء آخر، إن العلم يصنع المعجزات .

الأب : المعجزة الأبدية من صنع الله.

مــــارتـا : لقد شاعت المجىء لرؤيتك ، لكن...

الأب : أريد أن تأتى ... فلتأت فورا ... فى الحال ، أود أن أراها وترانى ، أن أراها كما ترانى ، أريد أن ترانى ، قبل أن أموت ، ابنتى الكفيفة لأول ، وربما لآخر مرة .

مــــارتـا : أبى ، ربما لا تستطيع ذلك الآن ، ستراها عندما تسمح الحالة بذلك .

الأب : حالة من ؟ أنا ؟ عندما تتحسن حالتى أنا؟

مــــارتـا : نعم ، وعندما تستطيع هى الخروج من المنزل؟

الأب : ألا تستطيع الخروج من المنزل؟

مــــارتـا : بلى ، لا تستطيع الآن ، لقد حرم عليها الطبيب الخروج.

الأب : الطبيب ... الطبيب ... دائما الطبيب ... أريد أن تأتى ، بما أننى رأيت ولو للحظة حفيدى ، أود أن أشاهد أنها ترانى بعينيها الجميلتين قبل أن أموت.

(يدخل خوسيه)

الأب : مرحبا خوسيه ... وزوجك ؟

خـوسـيـه : ماريا ، لا تستطيع الحضور ، سأجيئك بها فى غضون

أيام.

الأب : فى غضون أيام سأموت.

مـــــارتـا : (موجهة الحديث إلى خوسيه) دعك منه ، لقد تملكه هوس الموت .

الأب : هوس...!؟

خـوسيـه : (يجس نبضه) نبضك اليوم أفضل.

مـــــارتـا : (موجهة الحديث إلى خوسيه بصوت خافت) علينا أن نطمئنه.

خـوسيـه : نعم ، فليمت دون أن يعى.

مـــــارتـا : وهذا ليس موتا.

الأب : خوسيه ... كيف حال الطفل؟

خـوسيـه : بخير...

الأب : حفيدى!...إنها سعيدة برؤية طفلها.

خـوسيـه : لك أن تتخيل ذلك يا أبى .

الأب : فلتأتونى به مرة أخرى ، الآن ، أريد رؤيته ، أنه يعيد لى شبابى ... ربما أستطيع المقاومة فترة أطول إذا احتضنته بين ذراعى.

خـوسيـه : لا يمكننا أن نأخذه من أمه طويلا.

الأب : فلتأتنى هى به .

خـوسيـه : هى ؟

الأب : نعم ، هى ، فلتأت بالطفل ، أريد رؤيتها مبصرة ، وأن

يرانيا معا.

خوسيه : ولكنها...

(تعاود النوبة الأب)

خوسيه : (موجها الحديث إلى مارتا) كيف حاله الآن ؟

مارتا : سيئ للغاية ، إنه القلب.

خوسيه : القلب!؟ ، يموت بما عاش، يموت لأنه عاش.

مارتا : تعاوده النوبة كما ترى من حين إلى آخر، قد تزول سريعا فيهدأ ، ويسكن ، ويتكلم ، ويعقل الأمور... يقول الطبيب إنه قد يموت حين لا نتوقع ، وأنه علينا أن نجنبه الانفعالات القوية ، لذلك يجب ألا تأتى زوجك ، فسيعنى ذلك موته .

خوسيه : لا شك .

الأب : ولكن، أريد أنا أن تأتى.

(تدخل ماريا معصوبة العينين)

خوسيه : ماريا ! ، ماذا دهاك ؟

مارتا : أجننت يا أختاه ؟ (تحاول إيقافها)

ماريا : دعينى يا مارتا .

مارتا : لماذا جئت ؟

ماريا : لماذا !؟ أتسألينني أنت يا مارتا ؟ جئت لرؤية أبى قبل أن يموت.

مارتا : يموت ؟

مـــــاريا : نعم ، أعلم أنه يحتضر ، لا تحاولى خداعى.

مـــــارتا : خداعك ... أنا ؟

مـــــاريا : نعم أنت ، إننى لا أخشى الحقيقة.

مـــــارتا : لست أنت المقصودة ، بل هو ، فقد يعجل ذلك بمنيته.

مـــــاريا : إذا كان عليه أن يموت ، فليمت معى.

مـــــارتا : لكن ... ما هذا ؟ (تشير إلى العصاب) انزعيه.

مـــــاريا : لا ، لا ، لن أنزعه ، دعونى . إنى أدرك ما أفعل.

مـــــارتا : (هامسة) لم تتغير!

الأب : (يشعر بوجود ماريا) من هناك ؟ مع من تتحدثين ؟ إنها ماريا ؟ نعم إنها ماريا ... ماريا...! ماريا ! ، حمدا لله أن أنت.

(تتقدم ماريا تاركة العصا ، تركع عند قدمى أبيها دون أن تنزع العصاب ، تربت عليه)

مـــــاريا : أبتاه ... أبتاه ، ها أنا ... معك .

الأب : حمدا لله ... بنيتى ! أخيرا أشعر بالسلوى لرؤيتك قبل أن أموت ... إننى أحتضر.

مـــــاريا : ليس بعد يا أبى ... وها أنا معك.

الأب : بل أحتضر.

مـــــاريا : لا... ليس لك أن تموت ، يا أبى .

الأب : كل من يولد يموت .

مـــــاريا : لا ... أنت ... لا .

الأب : مـاذا ؟ ألم أولد ؟ إنك لم ترين مـولدى ، بنيـتى ، ولدت وأموت.

مـــاريا : لا أريد أن تموت يا أبى .

مـــارتا : كفاكما بلاهة . (موجهة الحديث إلى خوسيه) يجب أن لا نتحدث عن الموت ، سيما أمام المحتضرين .

خـوسيـه : نعم بالصمت نتفاداه .

الأب : (موجها الحديث إلى ماريا) اقتربى بنيتى ، لا أراك جيدا ، أريد أن تريننى قبل أن أموت ، أريد أن يكون عزائى قبل موتى أن ترانى عيناك الجميلتان . لكن ... ما هذا ؟ ماذا تضَعين على عينيك ؟

مـــاريا : لقد عصبتهما لأرى الطريق.

الأب : لترين الطريق ؟

مـــاريا : نعم ، فلم أكن أعرفه .

الأب : (مترويا) حقا ، لكن بما أنك فى حضرتى فاخلعيه عنك ، اخلعيه . أريد رؤية عينيك ، أن تريني ، أن تعرفيني.

مـــاريا : أعرفك ؟ إننى أعرفك جيدا ، جيدا ، أبتاه (تربت عليه) هذا أبى ، هو ، هو ، ليس آخـر ، هو من أمطر عـينى الضريرتين بقبلاته ، قبلات ، أثمرت بفضل الله ، هو أبى الذى علمنى رؤية ما لا يُرى ، أبى الذى ملأ بالله روحى ، (تقبل عينيه) ، لقد رأيت أنت عوضا عنى أفضل مما أرى لنفسى ، كانت عيناك عينى ، (تقبل يده) هذه اليد ،

هذه اليد المقدسة ، هدتنى فى دروب الحياة المظلمة ، (تقبل فمه) من هذا الفم انطلقت إلى قلبى كلمات تعلمنى ما خفى على فى الحياة ، أعرفك يا أبى ، أعرفك ، أراك ، أراك جيدا ، أراك بقلبى ... (تعانقه) هو ، هو ، أبى وليس آخر ، هو ، هو ، هو ...

خوسيه : ماريا !

ماريا : (تثب إلى رشدها) ماذا !؟

مارتا : أنت تضرينه بهذا الانفعال .

ماريا : دعوننا ! ألا تدعوننا نتمتع بما بقى لنا من حياة ؟ ألا تدعوننا نعيش ؟

خوسيه : أهذه ...

ماريا : نعم ، هذه حياة ، (تلتفت إلى أبيها) هذه حياة أبى ... حياة ...

الأب : نعم ، هذه حياة ، صدقت يا بنيتى .

مارتا : (تقدم له الدواء) ها يا أبى ، حانت ساعة الدواء.

الأب : دواء ؟ ... لماذا ؟

مارتا : ليشفيك.

الأب : هذا (يشير إلى ماريا) دوائى ، ماريا ، بنيتى ، روحى.

مارتا : وابنتك الأخرى؟

الأب : لقد ولدت مبصرة يا مارتا ، إياك والغيرة .

مارتا : (هامسة) نعم ، لقد أحسنت استثمار بلوتها.

الأب : بماذا تهمهمين أيتها الحمقاء ؟

مــــاريا : لا تلمها يا أبى ، مارتا طيبة ، مـاذا كان من أمرنا دونها ؟ أكنا نعيش بمعسول الكلم ؟ أختاه ... (تقترب مارتا ، تتعانق الشقيقتان وتقبل كل منهما الأخرى) مارتا ، لقد ولدت مبصرة ومُتعت بالنور ، دعينى ، فلَم يكن لى فى حياتى عزاء إلا حنان أبى .

مــــارتا : حقا ما تقولين .

مــــاريا : أترين يا مارتا ؟ أترين ؟ عليك أن تتفهمى ذلك (تحنو عليها)

مــــارتا : نعم ، لكن ...

مــــاريا : دعك من " لكن " يا شقيقتى ، أنت من هواة الـ " لكن " ، وكيف حال أبى ؟

مــــارتا : يحتضر .

مــــاريا : لكن ...

مــــارتا : الـ " لكن " لا تفيد، تتسلل منه الحياة لحظة بأخرى .

مــــاريا : لكن بهجته بشفائى وبرؤية حفيده ... ! أعتقد ...

مــــارتا : لقد كنت شديدة الثقة دائما فى نفسك ، معتدة بها ، بيد أنه يموت ، وربما كان ذلك أفضل ، لأن عيشته ليست حياة ... فهو يعانى ونعانى جميعا معه . ليكن ما لا مفر منه ، شرط ألا يعانى .

مــــاريا : أنت دائما متعقلة.

مـــارتـا : دعك من هـذا ، ولنقنع بما لا بد منه (يتـعـانقان) اخلعى هذا العصاب استحلفك بالله (تحاول نزع العصاب)

مـــاريا : لا...لا... دعيه ... فلنقنع يا أختى .

مـــارتـا : (موجهة الحديث إلى خوسيه) هكذا ينتهى الجدل فيما بيننا .

خـوسـيـه : لتعاودانه من جديد.

مـــارتـا : هذا أسلوبنا فى حب أحدنا للأخرى.

الأب : (مناديا) ماريا ... ! تعالى واخلعى عنك هذا العصاب ، اخلعيه ... لماذا وضعته ؟ أيؤذيك النور ؟

مـــاريا : لقد أخبرتك أننى عصبت عينى لأرى الطريق إليك .

الأب : اخلعيها ، أريد أن ترينى أنا وليس الطريق .

مـــاريا : إننى أراك ، هذا أبى وليس آخــر (يحـــاول الأب نزع العصاب فتقاومه) لا ... لا...

الأب : دعينى أرى على الأقل عينيك ، هاتين العينين الجميلتين اللتين سبحتـا فى الظلمـات ، هاتين العينين اللتين طالما رأيت نفسى فيهما ولم ترينني بهما ، كم سعدت بتأملهما ناظرا فيهما نفسى بألم مستفسرا لماذا كل هذا الجمال إذا كانتا غير مبصرتين ؟

مـــاريا : كى ترى نفسك فيـهـما يا أبى ، لكى يكونا مـرآتك ، مرآة حية.

الأب : بنيـتى ، بنيـتى ... كم تسـاقط دمـعى ، دمع التـسليم

للمقادير ، فى عينيك الضريرتين عندما كنت أرنو إليهما .

ماريا : بعدها بكيت أنا دموعك يا أبتى .

الأب : استحلفك بهاته الدموع بنيتى ... استحلفك بها ، انظرينى الآن بعينيك ... أريد أن ترينى .

ماريا : (تجثو إلى قدمى أبيها) لكن إذا رأيتك أبتى ، إذا رأيتك ...

الخادمة : (تنادى) سيدى ...

خوسيه : (ملبيا) ماذا ؟

الخادمة : (تدخل حاملة الطفل) لقد اعتقدت أنكما لن تعودا ، فلما بكى الطفل جئت به ... إنه نائم .

خوسيه : هذا أفضل ، دعيه .

ماريا : آه ... الطفل! هاته.

الأب : الطفل؟ نعم ، هاته.

مارتا : لكن ، بالله ...

(تتقدم الخادمة بالطفل ، تأخذه ماريا ، تقبله وتضعه أمام الأب)

ماريا : ها هو يا أبتاه (تضعه فى أحضانه)

الأب : بنى ... انظرى كيف يبتسم فى أحلامه ، يقولون فى ذلك أنه يتحدث مع الملائكة ... أيرى ، ماريا ، أيرى ؟

ماريا : نعم يا أبتاه يرى .

الأب : أله مثل عيناك ؟ نفس عينيك ، أرينهما ، فليفتحهما.

ماريا : دعه نائما يا أبتاه ، يجب ألا نوقظ الأطفال من نومهم ،

إنه ينعم الآن بالجنة ... من الأفضل أن يظل نائما .

الأب : لكن ... افتحى أنت عينيك ، اخلعى عنك هذا ... انظرينى ، أريد أن ترينى ... أريد أن أرى أنك ترينتى ... اخلعيه. ربما ترينتى، بيد أننى لا أرى أنك ترينتى، أريد أن أرى أنك ترينتى.

مـــــارتـا : كفاك ... هذا آخر رجاء ... عليك أن تفرجى عن أبيك (تخلع عنها العصاب) ها هو أبانا يا أختاه ...

مـــــاريـا : أبتاه ... (تقف فزعة تنظره ، تدعك عينيها ، تغلقهما ، يفعل الأب نفس الشيء)

خـوسيـه : (إلى مارتا) أعتقد أن الانفعال أقوى من أن يتحمله ، أخشى ألا يطيقه قلبه .

مـــــارتـا : كان من الجنون أن تأتى امرأتك .

خـوسيـه : كنت قاسية بعض الشيء.

مـــــارتـا : لا بد من ذلك معها .

الأب : (يمسك الأب يد مارتا ثم يسقط فى مقعده ميتا ، تقبله مارتا فى جبهته وتمسح دموع عينيها ... بعد برهة تمسك ماريا بيده الأخرى فتشعر بها باردة)

مـــــاريـا : آه ... باردة ، باردة ... مات ... أبتاه ... أبتاه ... لا تسمعنى ... لا ترانى ... أبتاه ... بنى ... ها أنا ... لا تبك ... أبتاه ... العصاب ... العصاب ... لا ... لا أريد أن أرى بعينى أبدا .

ستــــار